

نوافذ رمضان



صلاح قابيل



مع نادية الجندي



من أحد أفلامه

حكاية عودة الحياة داخل قبره إلى صلاح قابيل

ذا ادفوكيت في لويديانا في 27 مايو 2005، هناك شخص من بين كل خمسين يدفن حيا على مستوى البلاد، وهذا الرقم استخرجته الصحيفة اعتمادا على معدل الأخطاء المشابهة التي يتم اكتشافها في آخر لحظة، ضمن متوسط حالات الوفاة اليومي في كامل الولايات، وتعترف الصحيفة بأنها توسعت في هذا الموضوع بعد رسالة تسلمتها من رجل يدعى مارك فولنجويت عمل في مجال الدفن طوال أربعين عاما، وخلال هذه الفترة شاهد - على حد قولها - حالات كثيرة استفاق فيها الميت قبل دفنه بفترة بسيطة، وعاما بعد عام أصبح على قناعة بأن «عددا أكبر من المرضى» دفنوا أحياء بدون أن يدري بهم احد، ويعود جزء كبير من المشكلة الى التسرع في اعلان الوفاة بناء على مظاهر مرتبطة بالموت «كتوقف القلب لفترة قياسية او التنفس لفترة طويلة»، ولكن حتى في هذه الحالة قد يظل المرء في حالة «وفاة سريرية» بحيث تبقى أعضاؤه الأخرى حية. وحين يعود القلب للخفقان - والرتان للعمل - تتجاوب معهم بقية الأعضاء فيستيقظ الميت وسط ذهول الجميع.

ورغم عدم فهمنا الدقيق لكيفية عودة القلب للخفقان بعد التوقف، الا انها حالة منتشرة ويعرفها الاطباء جيدا، وهناك طبيب يدعى سام بارنيا أجرى دراسة مطولة حول هذا الموضوع فاكشف ان عشرة بالمائة من الموتى يصلون الى حدود الموت الحقيقي ثم يعودون مجددا (حسب عدد يناير 2003 من مجلة New Dawn)، وفي عام 2001 قام الدكتور بم لمل بدراسة 334 مريضا مروا بهذه التجربة في مستشفيات هولندا واكتشف ان 18٪ منهم ماتوا سريريا ثم عادوا للحياة مرة أخرى، حسب عدد أكتوبر 2003 من مجلة the Lancet.

هذه التقارير الغريبة تساندها حوادث كثيرة «نقرأ عنها بين الحين والآخر» حول اشخاص عادوا للحياة بعد وفاتهم ولو عدنا لتراث الشعوب لوجدنا كما هائلا من القصص والحوادث التي تصب في هذا الجانب، ففي روما مثلا لا يتم دفن البابا قبل ثلاثة ايام من وفاته خشية ان يدفن حيا كما حصل لاحد البابوات في القرن الرابع عشر، وفي تراثنا الاسلامي يكفي العودة الى الحوادث العجيبة التي اوردها الحافظ ابن ابي الدنيا في كتابه «من عاش بعد الموت».

اما في العصر الحديث فأعلنت نقابة الدفن في لندن قبل عامين انها انقذت منذ تأسيسها حياة 2175 شخصا كانوا سيدفنون بالخلط، وفي هامبورغ اعلنت جمعية «المحاولة الأخيرة» انها انقذت حياة 107 اشخاص في الخمس سنوات الماضية فقط بفضل ابقائهم تحت المراقبة لثلاثة ايام أخرى، اصف الى هذا ان هناك عددا كبيرا من المشاهير الذين انقذوا من الدفن خطأ مثل رئيس الوزراء البريطاني درزائيلي وعالم التشريح الشهير د. ونسلو والزعيم الايطالي موسوليني اثناء طفولته، مما يجعلنا نتساءل عن النسبة بين «غير المشاهير»!

على أي حال، مهما قيل عن ندرة هذه الظاهرة يبقى احتمال حدوثها «حتى بنسبة واحد الى الالف» أمرا يثير الفزع ويستحق المراقبة والاهتمام.

يصارع الموت مرة ويحاول الخروج الى الحياة مرة أخرى.

أسرة الراحل

وتناقلت اللسان الحادثة بسرعة مذهلة، وتراقصت علامات الاستفهام بشدة عن حقيقة تلك الرواية المثيرة التي لم تكن لا على البال ولا على خاطر، مما دفع بأسرة صلاح الى الخروج عن صمتها وتوضيح الامور المتعلقة بملايسات الوفاة، فقالت انه توفي بسبب نزيف في المخ وان د.سيد الجندي استاذ جراحة المخ والاعصاب كان على رأس فريق الاطباء الذي باشتر حالته من البداية للنهاية وانه ظل قرابة يومين في ثلاجة المستشفى قبل ان يصرح بدفنه، وان احدا من اقاربه لم يمتم في الفترة الأخيرة، واهم من ذلك ان المقبرة التي دفن فيها هي مقبرة خاصة «بعين واحدة» كان قد اعددها بنفسه قبل وفاته، وانها لم تفتح على الإطلاق منذ ان دخلها جثمانه.

وحرصت الاسرة على أن تعلن هذه الحقيقة لتقطع دابر الشائعات التي انتشرت.

مجرد غيبوبة

ونقلت الصحف حينها رأي اساتذة الطب في مصر الذين اكدوا ان التشخيص الخاطئ للوفاة امر غير وارد على الإطلاق في حالة الإصابة بنزيف المخ، وحتى اذا كان الامر مجرد غيبوبة كما جاء في الشائعة فإن البقاء لمدة يومين قبل الدفن كان كافيا لاسترداد المريض وعيه ان كان لم يمتم.

بعد كل هذا ظل السؤال: لماذا حدث هذا مع صلاح قابيل بالذات؟ وكيف ولماذا انتشرت الشائعة بهذا الشكل السريع؟

دفن خاطئ

وعلى الرغم من تكذيب أسرة الراحل للقضية في حينها، الا ان ذلك لم يقض على الامر على الرغم من عدم وجود تفسير علمي وطبي لتحرك جثة قابيل، وان كان البعض يعتقد ان الفنان الراحل تم دفنه بطريق الخطأ وانه لم يكن اسلم الروح عند دفنه، وانه ربما كان في غيبوبة وقت دفنه وفاق منها بعد اغلاق المقبرة على جثمانه وحاول الخروج لكن المقبرة كان قد تم ردمها.

عصر الفرسان

يذكر ان الفنان صلاح قابيل توفي في ديسمبر عام 1992 وكان يمثل حينها مسلسل «عصر الفرسان» وتوفي قبل انتهاء التصوير بسبعة مشاهد فقط ليكمل ابن عمه محمد قابيل تلك المشاهد وقد تم التصوير عن بعد لتبدو المشاهد وكأنها للراحل صلاح قابيل.

دفن الأحياء

ولا بد من الإشارة الى انه في كل يوم يدفن 35 شخصا حيا بسبب اعتقاد الأطباء «أو حتى الاهل» بأنهم ماتوا فعلا، وهذا الامر لا يحدث في موزمبيق، او السنغال او ساحل العاج بل في الولايات المتحدة التي تتمتع بأفضل الكوادر الطبية في العالم. وحسب ما ذكرته صحيفة

حكاية كانت حديث الناس منذ أكثر من عشرين سنة واستحوذت على اهتمام الكثيرين الذين انقسموا بين مصدق للرواية ومكذب لها، معتبرا مجرد شائعة ملأت مصر وترسخت في الأذهان، فما هي تلك الحكاية؟

فتح المقبرة

تقول الحكاية ان الحياة عادت الى صلاح قابيل في قبره او على الأقل تم دفنه حيا دون التأكد من انه قد انتقل الى جوار ربه بالوفاة، بدليل ان بعض افراد أسرته الذين كانوا يدفنون قريبا لهم مات بعد صلاح قابيل، فوجئوا عند فتح المقبرة بالفنان الراحل وقد نفض الكفن عن نفسه وجلس جلسة القرفصاء عند مدخل المقبرة وبيده الى اعلى، مما يؤكد انه كان يحاول فتح المقبرة او على الأقل الاستغاثة قبل ان يموت حقا.

لم تبق اذن الا وسمعت بتلك الحادثة، والمثير في الموضوع ان كل مستمع للقصّة راح يزيد عليها ويضيف خيط جديد لمزيد من الاثارة وليترك لخياله العنان، فمنهم من اعتبر ان أسرة صلاح تسرعت في دفنه دون التأكد مما اذا كانت الوفاة قد حدثت ام هي مجرد غيبوبة، ومنهم من ادعى العلم ببواطن الامور واسرار القبور، واطاف انه ظل خمسة ايام كاملة في قبره

